

البعء القومى لتقريب النقود
(دراسة سياستى واقتصادىة)

عبد الواحد الروضانى
مدرس

كان لموقع الحجاز الوسط بين الامبراطورية الساسانية والبيزنطية أهمية كبيرة في نشاطها التجاري والمالي وكانت نقود هاتين الدولتين قد أستخدمت وسيلة للتداول في معاملات الحجاز التجارية ، كما كانت رحلتنا قريش الشتوية والصفية إلى اليمن على التوالي مورداً رئيسياً للنقود (السكة) الفضية والذهبية. وقد استعمل الساسانيون الدرهم الفضي كعملة يتداولونها في بلادهم بينما استعمل البيزنطيون الدينار الذهبي كعملة لهم .

ونشط المكيون بحكم وجود الكعبة وتوافد الحجاج من مختلف أنحاء الجزيرة لها بأعمال التجارة والصيرفة وتبادل العملة (١) بدون قيد حيث لم يفرض على العملة أي سعر رسمي يؤخذ به اليوم ويترك في الغد بل قدرت قيمتها حسب وزنها باعتبارها (٢) معدناً ثميناً وتم ذلك بأوزان القنطار والاقية والمثقال .

وقد نقل المهاجرون المكيون مهارتهم في التجارة والصيرفة فيما بعد إلى مدينة يثرب الزراعية فجعلوها مركزاً تجارياً ينافس مدينتهم مكة (٣) . وللدنانير البيزنطية الذهبية شكل قرصي مستدير صور على أحد وجهيه الامبراطورية البيزنطية الذي أمر بسكه . ففي فجر الإسلام كانت الصورة للامبراطور هرقل أو مع ولديه هرقليناس وقسطنطين وقد قبض كل منهم على صليب طويل وتوجت كل صورة منهما بصليب آخر .

أما الوجه الثاني فكان عليه صليب قائم على أربعة مدارج يحيطها عبارات من الدعاء تشير إلى مكان ضرب العملة مكتوبة بالأحرف اللاتينية واليونانية (٤).

(١) د. صالح العلي/ محاضرات في تاريخ العرب / الجزء الاول ص ١٠٠ - ١٠١ الطبعة الثانية / بغداد / ١٩٦٤ م .

(٢) ابن خلدون / المقدمة / الجزء الاول ص ٢١٧ طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ .

(٣) د. صالح العلي / نفس المصدر السابق ص ٩٨ .

(٤) د. عبد الرحمن فهمي / الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الاسلامية مقالة في كتاب المؤتمر الثالث للاثار في البلاد العربية المنعقد في مدينة فاس سنة ١٩٥٩ ص ٣٣٨ لوحة ٢٤١

انظر لوحة (١)



لوحة رقم (١)
دينار بيزنطي للأمبراطور هرقل وولديه قسطنطين وهرقليوناس

أما الدرهم الفارسي الفضي فكان بشكل قرص مستدير أيضاً بوجهه الأول الجزء العلوي عليه صورة كسرى فارس يعتمر تاجاً وهو بشكل جانبي (Profile) ، أما الوجه الثاني للدرهم قصور عليه معبد نار ساساني يقوم على حراسته حارسان مدججان بالسلاح كما كتب على السكة كتابات فهلوية تشير إلى أسم الملك الذي أمر بسكها مع دعاء لاسرته ، كما احتوت هذه الدراهم على زخرفة تمثل نجمة يحتضنها هلال ترمز إلى الرفاه عند الشرقيين يتراوح عددها بين ٣ - ٤ (١) .

وقد كانت قریش تزن الذهب بوزن اسمه ديناراً وتزن الفضة بوزن معين أسمته درهما وكانت كل عشرة أوزان الدرهم سبعة أوزان الدنانير أي أن وزن الدرهم $\frac{7}{10}$ من وزن الدينار كما أن الشعيرة $\frac{1}{10}$ من وزن الدرهم (٢) .

وكان الدينار البيزنطي الذهبي الذي تداوله المسلمون في فجر الإسلام قد تعاملت به الدولة البيزنطية وبلاد العرب على أساس وزنه هو ٤ / ٢٥ غم أي مثقالاً وبهذا أصبح المثقال من الذهب يساوي ديناراً (٣) .
ولقد بعث الرسول (ص) في هذه الامة والسكة المشار اليها سابقاً متداولة

(١) عبد الرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ١٤ المكتبة الثقافية ١٠٣ ١٩٦٤ القاهرة .

استعمل العرب كذلك الفلوس البرونزي الذي كان قرصاً مستديراً أيضاً على وجهه صورة للإمبراطور واقفا متوجاً يعلوه صليب ويده اليمنى عصا المطرانية وباليمنى كرة ويعلو كل منهما صليب أيضاً وهو الشارة المسيحية المقدسة أما الوجه الثاني فعليه رمز نقدي حرف (M) أي رقم (٤٠) في اليونانية ويعني ان القطعة تساوي (٤٠) نيميا .

د. عبد الرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٢٧ .

(٢) المقرئى - الكرملى . نشر الاب انستاس الكرملى في كتابه (النقود العربية وعلم النميات الجزء الخاص بالنقود من كتاب المقرئى (النقود القديمة الاسلامية) القاهرة ١٩٣٩ ص ٣٠ انظر مخطوطة مصطفى الذهبي الشافعي / تحرير الدرهم والمثقال والبرطل والمكيال / ص ٣ / رقم المخطوطة (١٠٩٠) مديرية الآثار العامة / بغداد .

(٣) المقرئى - الكرملى ص ١١ .

بين العرب في الحجاز ، وتشير الروايات إلى أن الرسول (ص) عمل في التجارة أسوة بقومه المكيين وتداول بهذه السكة وتعامل بها وكذا اصحاب بيته وصحابته قبل البعثة وبعدها . كما استلم منها الهدايا وأمر بعد أن أقرها أن تسلم بها الزكاة التي هي ركن من أركان الدين الجديد فجعل في كل خمس أواقي من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم وفرض على كل عشرين ديناراً ، نصف دينار (١) .

وحين نشير إلى أن الرسول (ص) تداول بهذه العملة وتعامل بها فإنه مما يجلب الانتباه حقاً إنه لم تكن هناك ثمة إشارة في الأحاديث الشريفة أو في المصادر التاريخية لامتناع الرسول منها أو صحابته على الأقل في حياته لأحتوائها على تصاوير تمثل معابد للنار المجوسية (كالدرهم مثلاً) أو صلبان كما هو موجود في أعلى هامات الأباطرة البيزنطيين على الدنانير ، فالدعوة الجديدة جاءت لتجيب ماقبلها من ديانات كالمجوسية الفارسية أو لتتمم البعض الآخر كاليهودية والنصرانية باعتبارها ديانات سماوية جاءت في فترات مختلفة ومبكرة في العالم آنذاك .

كما إنه لا يمكن القول أن الرسول (ص) لم يكن ليهتم بهذه التصاوير التي تمثل ديانات كانت منتشرة كالمجوسية في بلاد فارس جاء الإسلام ليقضي عليها لأنها ديانة وثنية ، بدأها بمواطنيه الوثنيين في مكة وانتهى بإرسال البعوث بعد هجرته إلى المدينة ، إلى البلدان المجاورة ولملك فارس على الأخص يدعوه للدين الموحد الجديد .

والواقع أن الفترة التي قضاها الرسول في مكة بعد البعثة فترة قصيرة لم تتجاوز الـ (١٢) من السنين قضاها في صراع مستمر مع قريش حاول فيها جهده أن ينشر الدين الجديد بين أهله وأصحابه وعشيرته وإن مالاقيه من صدد وقسوة من هذه القبيلة حفزته للهجرة من مكة إلى يثرب المدينة التي

(١) ابن سلام / كتاب الاموال ١١٠٦ ص ٤٠٨ صححه وعلق هوامشه محمد حامد الفتحي ١٣٥٣هـ

انظر لوحة رقم (٢)



لوحة رقم (٢)
درهم ساساني لكسرى هرمز الخامس

ناصره أهلها ورحبوا بمقدمه ومنحوه زمام أمرهم وفي المدينة حاول الرسول أن يقيم أول دولة للمسلمين ينطلق منها إلى الجزيرة العربية ، إلا أنها بقيت دولة لم تتعد سلطتها حدود المدينة قبل السنة السادسة للهجرة حين عقد الرسول صلح الحديبية مع أهل مكة ، ومنذ هذا التاريخ بدأ المسلمون عهداً جديداً تطور معها نظام الحكم شيئاً فشيئاً .

ففي السنة السابعة للهجرة بعث الرسول (ص) إلى الأمراء والملوك يدعوهم إلى الإسلام ، ثم فتحت مكة في السنة الثامنة ثم تبعها مدينة الطائف فأسلم أهلها ثم أقبلت وفود الجزيرة العربية إلى المدينة تعلن إسلامها في السنة التاسعة ، وفي السنة العاشرة للهجرة بعث إليهم عماله يفقهون الناس في الدين الجديد ويحبون الصدقات ثم توفي الرسول في السنة الحادية عشر للهجرة .

من هذا يتبين لنا أن فترة مكوث الرسول في المدينة منذ هجرته وحتى وفاته لم تكن تتجاوز الأحد عشر عاماً وإن سلطته الدنيوية كقائد وزعيم لدولة المدينة والجزيرة العربية لم تتجاوز الست سنوات فقط أي منذ صلح الحديبية مع قريش وحتى وفاته .

ويبدو أن الرسول (ص) لم يعر أهمية تذكر للسكة الأجنبية المتداولة في دولته من الناحية الاقتصادية البحتة كنقد ضمن منطقة النفوذ الفارسي والبيزنطي يتأثر تبعاً لتأثيرها في الأسواق العالمية المعروفة آنذاك أو في أسواق الجزيرة العربية المحلية وذلك بسبب التعامل بها ، وزناً فحسب أي بمقدار ماترنه ذهباً أو فضة وليس بمقدار قيمتها كعملة متداولة .

وفي الحقيقة فلم تكن الأموال التي تجبي من المسلمين لتشكيل كمية فائضة عن حاجات المسلمين ، فلم يكن للرسول بيت مال أنثذ لتوزيعه الفئ والصدقات أول مايقبضها كما كانت الأموال التي يؤديها المسلمون في شبه الجزيرة العربية من الزكاة والصدقات توزع على الذين نزل فيهم قوله تعالى «وإنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها » وكان كثير من هذه

الصدقات يوزع على الفقراء والمساكين من أهل القبائل (١) ، وأما ما كان يقبض ويصل منه — وأغلبه من الماشية والابل — فكان يوضع بمقربة من المدينة يستعين به من المسلمين من لا يجد له دابة أو بعيراً حين غزوهم (٢) . كما يبدو أن التصاوير الفارسية والبيزنطية على هذه النقود لم تكن لتشكل إحدى الأولويات في تغيرات قيم المجتمع الجديد الذي بدأ الرسول بها بعد تثبيت موقعه الجديد في المدينة بالرغم مما تحمله هذه التصاوير من معان وقيم وثنية جاء الإسلام منافياً لها .

لقد تحدث الكثيرون عن كراهية التصوير في الإسلام أو تحريمه أو حتى تحليله، ومهما يكن من صحة ما تطرق إليه هؤلاء الباحثون (٣) في هذا المجال وتضارب آرائهم فإن الثابت لدينا أن الرسول (ص) قد تعامل بالنقود المصورة وأمر أن تسلم الزكاة بها وهي ركن من أركان الإسلام .

وقد يكون الرسول قد فكر فعلاً في تغيير السكة الأجنبية المتداولة بسكة جديدة تصلح للمجتمع الجديد وتتفق مع اقتصاده وقيمه الجديدة إلا أن الذي حال دون ذلك عدم توفر مناجم المعدنين الثمينين الذهب والفضة في الجزيرة العربية وعدم توفر السيولة النقدية من العملات الذهبية والفضية لأجل صهرها وإعادة سكها مرة ثانية ، كما يبدو أن وفاته السريعة بعد ست سنوات فقط من تثبيت أركان دولة المدينة حالت دون ذلك .

وكانت حكومة أبي بكر الصديق سنة ١١هـ والتي خلفت دولة الرسول عربية صرفة لم تؤثر فيها نظم الروم أو الفرس مما جعلها بسيطة كبساطة دولة

(١) ابن سلام (كتاب الاموال) ٤٢ ص ١٥ .

(٢) ابن سلام (كتاب الاموال) ٧٣٩ وما بعدها ص ٢٩٨ .

(٣) لقد تعرض الكثيرون لموضوع التصوير في الاسلام ومنهم :

احمد تيمور باشا / التصوير عند العرب / اخرجه د . زكي محمد حسن / ١٩٤٢ ص ١١٧ وما بعدها .

محمد كرد علي (خطط الشام) ١٩٢٦ م ج ٤ ص ١١٤ .

باقر الحسيني العملة الاسلامية في العهد الاتابكي / مطبعة الجاحظ ١٩٦٦

T. Arnold: Painting in Islam not Lp . LL — Ctc

الرسول يومئذ في الجزيرة العربية وأصبحت حلقة الوصل بين عهد الرسالة وعهد الدولة المعظمة في زمن عمر كما كانت التطور الطبيعي للنظام الذي بدأ تغييره في عهد الرسول (٢) ، وفيما عدا ذلك فإن خلافة أبي بكر كانت استمراراً للحياة السياسية والاقتصادية فأقر السكة بما فيها وما عليها تأسيساً بالرسول . والواضح أن الفترة القصيرة التي قضاها أبو بكر في خلافة المسلمين واشتداد الردة وانتشار فتنها في الجزيرة قد حالت دون أي تطور إداري أو إقتصادي في الجهاز الجديد .

وقد تغيرت في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٣ هـ الصورة في دولة المسلمين فقد عُدَّ الخليفة عمر باني كيان الدولة الإسلامية العتيدة فانتشرت العقيدة الإسلامية في عهده بعد تحرير العراق والشام ومصر ونتج عن امتزاج هذه العقيدة بشعور عرب العراق والشام بالإنتماء القومي أسس جديدة رست عليها أركان هذه الدولة ونمت فيما بعد وازدهرت في عصر بني أمية . لقد كانت الوحدة السيامية للجزيرة العربية بعض مايشغل ذهن الخليفة كما كان توطيدها وثبيت دعائمها وتصفيتهما من كل شائبة همه الكبير وانعكس هذا عملياً ببقاء المسلمين وحدهم في الجزيرة العربية كما اتبع سياسة عربية صرفة فرفع عن أهل الردة ماكان قد فرضه الخليفة الأول عليهم بالألا يحاربوا في صفوف المسلمين كما رد سبي العرب إلى عشائريهم ، « لكرهه أن يكون السبي سنة عند العرب (١) » وأصبحت هجرة الرسول بداية للتاريخ الهجري (٣) وبذلك سرى في نفوس العرب بأنهم أمة واحدة أهدافها مشتركة توجهها مصلحة عليا يهيمن عليها الخليفة .

ولقد ازدهرت الحياة الاقتصادية في خلافة عمر بن الخطاب بسبب حركات التحرير العربية وانعكس ذلك على مؤسسات الدولة الأخرى وخاصة

(١) محمد حسين هيكل .

(الفاروق عمر) الجزء الاول ص ٢٠٠ الطبعة السادسة / دار المعارف مصر .

(٢) اليعقوبي (تاريخ اليعقوبي) ج ٢ ص ١٣٩ بيروت ١٩٦٠ .

(٣) ابن الاثير (الكامل في التاريخ) مجلد ٣/ص ٥٩ بيروت ١٩٦٥ .

الأقتصادية منها وورود كميات من الذهب والفضة إلى المدينة كواردات (١) للدولة الإسلامية فانهى إلى تأسيس ديوان للعطاء وديوان للجند ، وتشير الروايات أن سبب ذلك قدوم أبي هريرة من البحرين ومعه خمسمائة ألف درهم (٢). فأشار عليه خالد بن الوليد بتدوين ديوان يعطي الناس عليه ، فدونه .

وكانت الأموال تتدفق على بيت المال بالسكة (النقود) الذهبية والفضية المضروبة على الطرازين البيزنطي والساساني ، وتحديثا المصادر إلى أن الخليفة بدأ يفكر في تغيير طرز هذه السكة إلى طراز عربي اسلامي انسجاماً مع الاسس التي ارساها في توجه الدولة القومي في النواحي السياسية والاجتماعية والمالية .

فقد كان عمر يأخذ الجزية من شعوب البلاد المحررة بالسكة المتداولة فأخذت بالدرهم على أهل الفضة وبالدينار أهل الذهب (٣) كما فرض الخراج بها لبيت مال المسلمين (٤) .

والثابت ان الخليفة أبقي على نظام العملة التي كانت في التداول على الرغم من إنها كسروية وهرقلية ومنقوش عليها العقيدة المسيحية أو بيت النار لكنه في نفس الوقت بدأ تعريبها بخطوات وثيدة فأمر سنة ١٨هـ بضرِب الدرهم على نقش الكسروية وشكلها (٥) إلا أنه أضاف إليها كلمة (جائر) أو (الحمد

(١) نفس المصدر السابق .

من المعروف ان اهم واردات الدولة الاسلامية هي الزكاة والخراج والجزية والغنية والفقير والعشور . انظر صبحي صالح / النظم الاسلامية نشأتها وتطورها ص ٤٥٤ دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٨ .

(٢) ابن خلدون / المقدمة / ص ٢٠٣ .

(٣) ابن التحكم/فتوح مصر واخبارها ص ١٥٢ طبعة هنري ماسيه/القاهرة/ ١٩١٤ .

(٤) ابو يوسف / كتاب الخراج / القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم ص ٢٠ المطبعة السلفية ١٣٥٢ / القاهرة .

(٥) المقرئى - الكرملي . ص ٣١ .

لله) وفي بعضها (محمد رسول الله) وفي بعضها الآخر (لا اله إلا الله وحده) .
ومن هذا يتضح أن الخليفة عمر أضاف إلى هذه النقود المتداولة عقيدة
المسلمين وكلمة (جائز) التي تعني أنها عملة جيدة وذلك حسب المعيار الرسمي
الذي أقره مؤسس الدولة (الرسول) وأبو بكر الصديق من بعده.

والحق إنه ليس بين أيدينا من المصادر ما يشير إلى أن عمر خطأ خطوة أبعد
من ذلك في تعريب النقود سوى ما ذكره لنا البلاذري عن سلسلة من الرواة
عن الحسن قال «كان الناس وهم أهل كفر قد عرضوا موضع هذا الدرهم
من الناس فجودوه واخلصوه فلما صار اليكم غشتموه وأفسدتموه ، ولقد
كان عمر بن الخطاب قال : هممت أن أجعل الدراهم من جلود الابل :
فقليل له إذا لا بعير فأمسك (١) » .

ويبدو أن ما كان يرد إلى بيت مال المسلمين في المدينة كما اشررت أموالاً
طائلة من قطع النقود الفضية والذهبية الفائضة عن حاجة المسلمين مما كان
باستطاعته الخليفة ان يأمر بصهرها وإعادة سكها على طراز جديد يتفق مع
العقيدة التي تدين بها الدولة ولا يتنافى مع قيم الإسلام الذي يؤمن به الخليفة
وقادة الدولة الآخرون من العرب المسلمين .

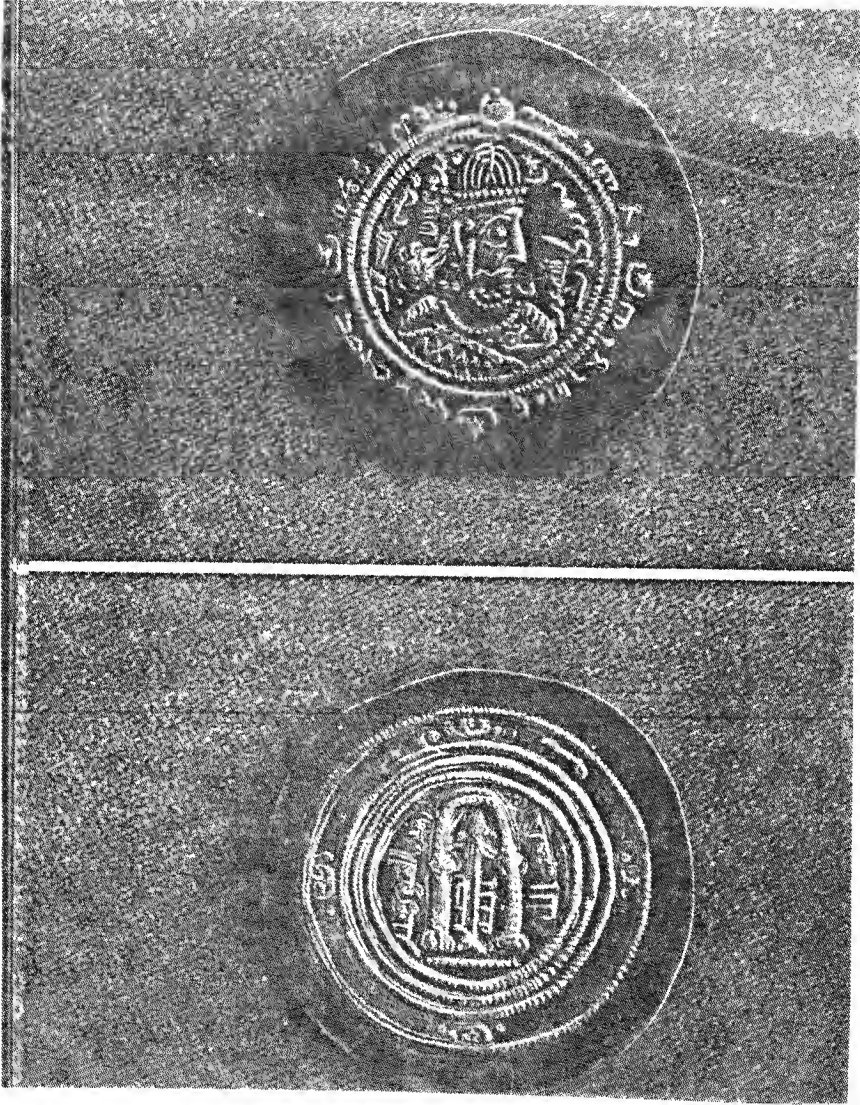
إن الكثير من الروايات التاريخية عن فترة حكمه وعن سلوكه كخليفة
تظهر لنا مدى إيمانه بالامة الممزوجة بالايمان العميق والخوف على العرب من
أن لا يضلوا في خضم مجتمعات مفتوحة متباينة الثقافات والعقائد منذ توليه
الخلافة وحتى مقتله على يد رجل أعجمي ، فقد استفتح عهده أول خلافته
فأمر الناس أن يردوا سبايا أهل الردة إلى عشائهم وقال لهم :
«اني كرهت أن يصير السبي سنة في العرب» (٢) .

كما رأى أن العرب إذا نزلوا في المدن الفارسية والبيزنطية بعد حروب

(١) البلاذري / فتوح البلدان / القسم الاول ص ٢٨٣ نشره ووضع ملاحقة وفهارسه .

د. صلاح الدين المنجد / مكتبة النهضة المصرية .

(٢) اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ١٣٩ .



لوحة رقم (٣)
درهم على النمط الساساني من عهد الخليفة عمر بن الخطاب

التحرير أن يفقدوا مزايا الصحراء وأخلاق العروبة ويغلب عليهم الترف وتضعفهم الحضارة فأقام لهم مدناً جديدة يعيشون فيها مثل عيشهم في الجزيرة فتكون لهم معسكرات يبقون فيها مستعدين للجهاد . ويحفظون فيها عروبتهن فأنشأ لهم الأمصار بل أن الخليفة الثاني اجتهد فيما لم يجتهد فيه من قبل من أخذ الجزيرة من النصارى كما فعل بنصارى قبيلة تغلب العربية حين ضاعف عليهم الزكاة بدل الجزية واشترط عليهم ألا ينصروا أولادهم (١) .

وحين طعن وأنجبره ابن عباس أن الذي طعنه هو أبو لؤلؤة قال « الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي بحاجتي عند الله بسجدة سجدها له قط ما كانت العرب لتقتلني (٢) » .

كما كانت وصيته الأخيرة وهو على فراش الموت «أوصيكم بالاعراب خيراً فأنهم أصل العرب ومادة الاسلام» (٣) .

فالواضح أن عمق الانتماء القومي وتفضيله العرب المسلمين ومحاولته الحلولة دون انصهارهم في المجتمعات الجديدة والمحافظة على نقاوتهم وجعلهم القوة المؤهلة للحرب والحكم (٤) كان يجب أن تتجسد فعلاً في تعريب كافة مؤسسات الدولة الإدارية والاقتصادية . وعلى الأخص السكة التي هي أيضاً شارة من شارات الخلافة والملك يختص بها الخليفة ويتداولها الناس ، فكيف إذا كانت هذه السكة ساسانية وبيزنطية وتصدرها شعوب تنتمي إلى عناصر وديانات أخرى .

والواقع أن بلاد إيران بمناجمها الفضية وخاصة في مناطق اصفهان وفارس وفرغانة وبنجهير ، ويبدو أن هذه المناجم كانت تدر باستمرار

(١) ابن سلام / كذب الاموال ٥٤١ .

(٢) ابن سعد / كتاب الطبقات الكبير / مجلد ص ٢٤٤ طبع ليدن ١٣٢١ هـ .

(٣) ابن سعد / نفس المصدر / ٢٤٦ ص .

(٤) يشير بعض المؤرخين المحدثين إلى أن عمر دون الديوان وفرض العطاء ليفرغ العرب للجهاد

في سبيل الله انظر محمد حسين هيكل / نفس المصدر ص ٨ - ٢

وانظر علي الطيحاوي وناجي / اختبار عمر ص ٩٢١ دار الفكر دمشق ١٩٥٩ م .

للساسانيين كميات كبيرة من الفضة ، لدرجة انها مكنتهم من اقامة نظامهم المالي على أساس العملة الفضية وحدها . وفي زمن عمر أصبحت بلاد فارس تحت هيمنة الإدارة الإسلامية ، وبهذا أصبح للدولة مورد مهم يمكن استغلاله . كما كانت الامصار وخاصة البصرة مورداً آخر للفضة التي تردّها من نقود الجبايات وغنائم الحرب ، وبالرغم من عدم وجود أرقام مضبوطة بين أيدينا عن تلك الكميات إلا أنها لايمكن أن تكون بأية حال قليلة ، كما كانت الامصار بدورها ترسل مقادير كبيرة من هذه الفضة إلى الحجاز بعد تسديد مصروفات الحاميات العربية المقيمة فيها وكانت هذه المقادير كافية فعلاً لجعل النظام المالي والعطاء في الحجاز قائماً على أساس الفضة (١) منذ زمن عمر .

وما يقال عن فضة الساسانيين يمكن أن ينطبق على الذهب أيضاً ، ولو بنطاق أضيق ، فلقد حوت بلاد المشرق فضلاً عن الفضة مناجم الذهب كذلك وكانت مناجمه موزعة في طبرستان والرى وفارس وطوقان وفرغانة وجيخون ، غير أن الكميات التي تدرّها هذه المناجم من هذا المعدن كانت قليلة لدرجة انها لا تكفي أن يسك الساسانيون عملة ذهبية ، كما انه لايمكن استيرادها لأن مناجم الذهب كانت بيد أعدائهم البيزنطيين ، كما أن المناجم الأفريقية الغنية بالذهب كانت تحت أيدي البيزنطيين كذلك ولذلك أدت ندرة الذهب وأهميته التجارية إلى احتكار الملوك الساسانيين له ، غير أنه بعد حروب التحرير الإسلامية في إيران ومصر أصبحت كنوز الأكاسرة الساسانيين تحت هيمنة العرب المسلمين فوزعوها بينهم ، كما ظفروا كذلك بمناجم الذهب المصرية وسيطروا على مصادره في أفريقيا والشرق الأقصى (٢) . لقد كان باستطاعته عمر اذن وهو المؤهل — في دينه وانتمائه القومي كما رأينا ربما كان لديه من فضة وذهب في بيت المال فائضة عن حاجة

(١) صالح العلي / التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الاول الهجري / ص ٢٣٧ دار الطليعة بيروت / ط ٢ ١٩٦٩ .

(٢) صالح العلي / نفس المصدر / ص ٢٤٤ .

المسلمين أن يأمر بعصرها وإعادة سكها على طراز جديد يتفق والعقيدة الإسلامية العربية التي تدين بها الدولة وتنسجم معها .

والحق انه ليس بين أيدينا من الأدلة ما يشير إلى عدم قدرته على فعل ذلك فلم يكن انئذ للدولتين فارس والروم هيمنة أو قوة تستطيع أن تحول دون ذلك كما حاول البيزنطيون أن يفعلوا زمن عبد الملك ولم يستطيعوا أيضاً ، فلقد سحق الساسانيون كقوة عظمى استولت على نصف العالم الشرقي آنذاك كما لم تكن الدولة البيزنطية قد استرجعت أنفاسها أمام ضربات المسلمين الموجعة فأخسرت فيما تبقى من أراضيها مهیضة الجناح وتم على انقاضها بناء دولة جديدة فتية مرهوبة الجانب عزيزة المقام ، الدولة العربية الإسلامية . وإن كان يقال أن كميات الذهب بين يديه كانت قليلة نسبياً لاتكفي أن تضرب بها عملة ذهبية فإننا في الحقيقة لانستطيع أن نقول أن كميات الفضة كانت قليلة وانه لم يكن باستطاعته أن يسلك عملة فضية ويقيم نظاماً نقدياً على أساسها . فهل يمكن أن يقال إذن أنه تأس بالرسول (ص) وأبي بكر لتداولهما هذه السكة وتعاملهما بها واستلامهما الزكاة منها ، واللذان كم يحالا أن يغيرا من أمرها شيئاً .

والواقع ثمة حديثاً ينسب إلى الرسول (ص) رواه يحيى بن آدم في كتابه الخراج (١) «منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مديها ودينارها ومنعت مصر أردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم» .

والحق أن افتراضنا تأسي عمر بالرسول في موضوع العملة يقودنا إلى مواقف كثيرة أشارت إليها كتب التاريخ والسيرة ، اجتهد بها عمر زمن الرسول وأظهرت الأيام صحتها مما أوجب ثناء الرسول عليه «جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه» ، وفيما بعد فلقد أجتهد عمر في مواضع كثيرة وحسبنا أن نشير إلى اجتهاده في التفريق في العطاء بين المسلمين حسب سبقهم في

(١) يحيى بن آدم / كتاب الخراج / تحقيق احمد محمد شاكر/ ص ٧١ - ٧٢ القاهرة / ١٣٤٧ .

الاسلام أو قرابتهم من الرسول « لأعطي من قاتل رسول الله كمن قاتل معه »
أو حتى أجهاده في نص من نصوص القرآن في عطاء المؤلف قلوبهم (١) .
ويبدو لي ان أي دراسة للنقود المتداولة في المعاملات التجارية زمن الرسول
والخلفاء الراشدين ولعصر عمر بالذات تشير إلى سمعة النقود الساسانية الفضية
والدينار الذهبية البيزنطية التي كانت تصدرها هاتان الدولتان لاسواق المسلمين
أو أخرى قد اكسبت هذه النقود سمعة تجارية عالية في المعاملات التجارية
والاقتراض من حيث معدنها وطريقة سكها ودقة صنعها ، فقد كان النظام
المالي في الاسلام قائما اساسا على النقود (٢) ، كما كانت النقود تقدر عند التجار
والصرافين حسب قيمة ما فيها من معدن بغض النظر عن سعرها الرسمي من
السوق ، الامر الذي جعل العرب قبل الاسلام وبعده يفضلون الاحتفاظ
بالنقود الجيدة دون الزائفة والممسوحة مما جعل للتجار والصرافين تأثير خطير
في تقرير سمعة العملة التي كانت عماد الحياة الاقتصادية كما جعل هؤلاء
بأحتكاك مباشر مع الدولة التي تحرص على الاحتفاظ بسمعة هذه النقود (٣) .
فهل يمكن ان يقال اذن ان السبب الاقتصادي فحسب كان حائلا دون
ضرب سكة عربية اسلامية صرفقة زمن عمر .

ام ان انشغال الخليفة بحروب تحرير العراق وايران والشام ومصر قد حال
دون اهتمامه جديا في تعريبها ، وانها لم تكن في قائمة الاولويات التي بذهن
الخليفة وهو في خضم تصريف امور وممالك كبيرة وشعوب حديثة العهد
بالادارة الجديدة اختلفت ديانتها وانتمائها القومية ، كما اختلفت امزجتها
وتطلعاتها .

(١) الواقع ان المصادر الاولى تشير اشارات واضحة إلى اعتزاز الرسول (ص) بالخليفة عمر
وفيا بعد اجتهد عمر في نصوص الاجنبي اصبح خليفة للمسلمين .

انظر ابن هشام / السيرة النبوية / حققها وشرحها مصطفى السقا / ط ١٩٥٣ م سنة مصر
وانظر الطبري / تاريخ الرسل والملوك / دار المعارف ١٩٦٣ .

(٢) صالح العلي / نفس المصدر / ص ٢٨٨ .

(٣) صالح العلي / نفس المصدر / ص ٢٩٥ .

إن الباحث لسيرة الخليفة عمر بن الخطاب والدارس لشخصيته والمتمعن في إيمانه العميق وانتمائه القومي الاصيل وفي موافقة الشجاعة واجتهاده ليحار حقا في إعطاء دقيقة عن موقف الخليفة أزاء هذا الموضوع .

لقد ورث الخليفة عثمان عمر في خلافة المسلمين سنة ٢٣ هـ فأبقى ما كان عليه الرسول والخلفاء الراشدون في امر السكة ولم يغير من أمرها شيئا ، الا أن بعض المصادر تشير إلى انه ضرب دراهما على الطراز الساساني ونقش عليها (الله اكبر) (١) والمؤسف اننا نفتقد إلى نموذج من هذا الدرهم حتى الان .

وفيما بعد فانه لم يكن ثمة تغيير يذكر في طرز السكة ، فقد شغلت الفتنة المسلمين عن مثل تلك الامور ، حتى مجيء الدولة الاموية وخلافة معاوية ابن أبي سفيان .

ويشير المقرئزي إلى ان معاوية سنة ٤١ هـ أول من ضرب دنانير عليها صورته مفروق الشعر على جبينه ويحمل بيمنة سيفاً ، وان بعض هذه الدنانير وقع في يد شيخ فجاء إلى الخليفة معاوية وقال « يا معاوية انا وجدنا ضريك شر ضرب (٢) » .

والحقيقة ننا نعتقد ايضاً الى نموذج من هذه الدنانير والذي يمكن أن يعزى غيابها إلى صهرها واعادة سكها زمن عبد الملك بن مروان (٣) . وقد قام معاوية كذلك بضرب الدراهم (٤) بمشورة زيادة بن أبيه واليه على العراق وجعل وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل . كما نسب الدكتور

(١) المقرئزي - الكرمل ص ٣١

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٣ وفي كتاب المؤرخ السرياني الذي نشره نولدكة ان معاوية ضرب عملة فضية وذهبية ولكنها لم تقبل لانه لم يكن عليها الصليب . فلهرزن / تاريخ الدولة العربية

/ ص ٢١١ .

(٣) ان صهر السكة واعادة ضربها من جديد أمر قديم ومعروف .

(٤) يحتفظ المتحف البريطاني نماذج من هذه الدراهم .

الدكتور عبد الرحمن فهمي إلى معاوية درهما على الطراز الساساني ضرب سنة ٤٣ هـ .

كما وقع بين أيدي بعض الباحثين نماذج من فلوس ضربت في (ايليا) بفلسطين نسبت اليه وهي على طراز دنانيره المصورة (١).

تولى بعد معاوية بن ابي سفيان وخلال خمس سنوات ثلاث من خلفاء بني أمية لم تشير المصادر إلى محاولات بارزة لهم في ميدان النقود الاسلامية حتى تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سنة ٦٥ هـ - ٨٦ هـ .

نشأ عبد الملك بن مروان في (المدينة) نشأة دينية اترجت بولاء عميق لانتمائه القومي ولأسرته بني أمية . وقد عد عبد الملك من فقهاء المدينة يقرن بسعيد بن المسيب لتفقهه بالدين وانكبابه على قراءة القرآن (٢) . وقد تولى عبد الملك مواقع ادارية بارزة قبل توليه الخلافة اهله لها شغصيته وحنكته السياسة وقدرته الفائقة وقد ذكر عنه حين استخلف «ما أتا بالخليفة المصانع ولا الخليفة المستضعف» (٣)

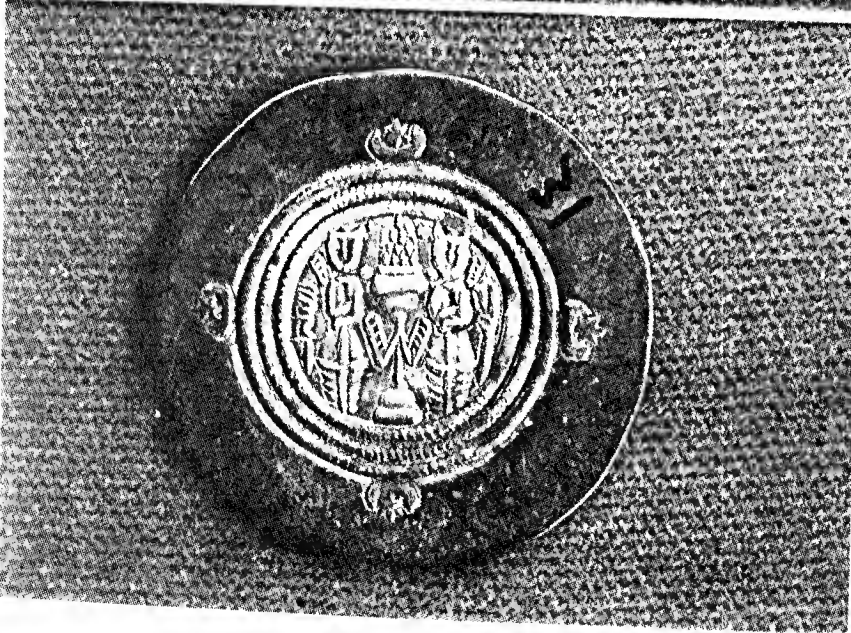
وبعد توليه خلافة المسلمين حاول عبد الملك ان يقيم دولة على قواعد جديدة بادارة ذات طابع عربي اصيل اكثر مما كانت من قبل . فقد اعطى لاقاربه بني أمية من التمتع بالسيادة نصيبا اعظم مما كان يعطيهم اياه من كان قبله من خلفاء بني أمية فكادت تكون في ايديهم اول الامر الامصار (٤) . والحق ان عبد الملك غادا بمثل قمة السياسة العربية في الاعتماد على العرب

(١) عبد الرحمن فهمي / فجر السكة العربية / ص ٣٧ مطبعة دار الكتب ١٩٦٥ القاهرة انظر لوجه (٤)

(٢) محمد الخضري / محاضرات في تاريخ الاسم الاسلامية (الدولة الاموية) ج ٢ ص ٢١٩ ١٩٦٩ .

(٣) عبد المنعم ماجد / التاريخ السياسي للدولة العربية / ج ٢ ص ١٠٤ وما بعدها مكتبة الانكلو المصرية ١٩٧١ القاهرة .

(٤) يوليوس فلهوزن / تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الاموية / راجعة حسين مؤنس / ص ٢١٣ - ٢١٤ / القاهرة .



لوحة رقم (٤)

درهم عربي ساساني باسم معاوية امير المؤمنين ضرب عام ٤١ هـ

عامة وعلى الامويين خاصة في القيادة والادارة والجيش، فقد جعل هؤلاء يمثلون سيادة قريش كما ولد شعور لدى البعض انهم يمثلون سيادة العنصر العربي على غيره وكان هذا واضحا في الادارة، حيث اصبحوا ارستقراطية قبلية اتجهت إلى الاقطاعات الواسعة. (١)

وقد عمل عبد الملك على تقوية الحكم العربي فعمل على تحويل كل شيء في جهاز الدولة إلى العربية وهو ما عرف بالتعريب وقد كانت هذه الخطوة هامة اذ ان اجزاء كبيرة من الوطن العربي لازالت حتى وقتنا الحاضر عربية ثمرة لهذه الجهود (٢).

ويبدو ان هذه الخطوة كان لا بد منها في تلك الفترة حيث دخل الاسلام شعوب وقبائل مختلفة الاصول والديانات كانت حاجتهم إلى قراءة القرآن والتفقه في الدين الجديد شديدة مما اقتضت الحاجة فيما بعد إلى تنقيط الحروف وايجاد قواعد للغة وهو ما اصطلح على تسميته بعلم النحو . كما لعبت حروب التحرير العربية وأقبال العرب على التزوج بالاجنبيات دورا مهما ايضا وفيما بعد تولى الخلفاء انشاء مراكز للتعليم ، وجمعوا حولهم القادرين على ترجمة علوم اليونان وكتبهم ولاسيما كتب ارسطو وجالينوس ونقلها من السريانية إلى العربية (٣) .

وحينما استتب الامر لعبد الملك بدأ بنخطة تعريب الدواوين أو بتعبير ادق دواوين الخراج بقصد تعريب المصطلحات المالية وايجاد الانسجام في ادارة الامبراطورية الاسلامية ، ففي عهده نقل ديوان الشام من اليونانية للعربية وقد قام الحجاج بنقل الديوان بالعراق من الفارسية للعربية ، اما ديوان مصر فقد بقي حتى تم تعريبه في خلافة الوليد.

(١) عبد العزيز الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي / ص ٢٠ - ٢١ (دار الطليعة بيروت مطبعة اولى / ١٩٦٩ .

(٢) عبد المنعم ماجد / المصدر السابق / ص ١٦٢ .

(٣) غوستان لوبون/ حضارة العرب / ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ترجمة عادل زعير / مطبعة عيسى البابي الحلبي .

ويذكر عبد المنعم ماجد انه يمكن أن يكون سبب سرعة نقل ديواني (١) الشام والعراق دون ديوان مصر هو ان البلدين الاولين كانا عربيين منذ القدم وقد تبع خطوة تعريب الدواوين خطوة مصر هامة ترمي إلى تقوية الحكم العربي بضبط ميزانيته واقتصاده وصنع الدولة بصيغة قومية عربية في الميادين الادارية والمالية.

ويبدو ان هذه الخطوة ايضا كانت مرتبطة باستئناف الحرب مع الروم والتي لها شأن في ارضاء الشعور الديني لدى المسلمين فقد استأنف الجهاد معهم بعد هدوء دام ١٥ سنة (٢).

والحق ان المؤرخين العرب لا يختلفون في نسبة الطراز العربي للنقود إلى عبد الملك بن مروان قدر اختلافهم في الدافع الذي ادى به إلى تعريبها . ويمكن الوقوف على ذلك من النص الذي اورده البلاذري في كتابه فتوح البلدان : « كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من ارض مصر ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير ، فكان عبد الملك بن مروان اول من احدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير من (قل هو الله أحد) وغيرها من ذكر الله . فكتب اليه ملك الروم : « انكم احدثتم في قراطيسكم كتابا نكرهه ، فان تركتموه والا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ماتكرهونه » .

قال : فكبر ذلك في صدر عبد الملك فكره ان يدع سنة حسنة سنتها فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية واخبره الخبر فقال افرغ روعك ياأمير المؤمنين حرّم دنانيرهم فلا يتعامل بها واضرب للناس سلكا ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير.

فقال عبد الملك . فرجتها غني فرج الله عنك . وضرب الدنانير وقال عوانته بن الحكم وكانت الاقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه إلى الربوبية ، تعالى الله علوا كبيرا . وتجعل الصليب مكان بسم الله

(٢) عبد المنعم ماجد / المصدر السابق / ص ١٦٤ .

(٣) فلهوزن / المصدر السابق / ص - ٢٠١ .

الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ماكره ، واشتد عليه تغيير عبد الملك ماغيره (١) .

وقد اورد المقرئزي (٢) وابن تغري (٣) قصة مشابهة للبلاذري ويروى ابن الاثير سببا اخر هو ان الامويين اغفلوا امر المعاملة . بما تشاغلوا به من امر نفسم فتفاحش الغش في التجارة ، ونسبت إلى الروم والفرس سكة ليست من سكتهم نعي عبد الملك بتميز المغشوش من الدنانير والدرهم فضرب السكة (٤) . ويذكر ابن خلدون عن سبب تعريب النقود بقوله «وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس ودرهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم إلى الوزن ويتصارفون بها بينهم إلى ان تفاحش الغش في الدنانير والدرهم لغفلة الدولة عن ذلك وامر عبد الملك الحجاج بضرب الدرهم وتميز المغشوش من الخالص (٥) :

الا أن بعض المؤرخين المعاصرين يؤكدون ان ثمة صلة من سوء العلاقات بين المسلمين والروم وبين تفكير المسلمين في وضع عملة مستقلة ، حيث ان الحرب ادت إلى انقطاع التجارة وبالتالي قلة النقود الذهبية ، مما دعا عبد الملك إلى اصدار العملة ليحقق للدولة استقلالها الاقتصادي (٦) .

ويشير إلى هذا الرأي جرجي زيدان بقوله ان السبب المباشر الذي دفع عبد الملك إلى تعريب السكة يعود إلى توقف التجارة وانقطاع النقد ورغبته في تحقيق الاستقلال الاقتصادي للدولة (٧) .

(١) البلاذري (فتوح البلدان) ص ٢٨٣ نشره ووضع ملاحقه وفهارسه د. صلاح الدين النجد مكتبة النهضة المصرية .

(٢) المقرئزي - الكرملي - ص ٣٥ .

(٣) ابن تغري بردى (النجوم الزاهرة) طبعة دار الكتب المصرية ، / ص ١٧٦ - ١٧٧ سنة ١٩٢٩ .

(٤) ابن الاثير (الكامل في التاريخ) ج ٤ ص ١٧٤ بولاق ١٢٩٠ هـ .

(٥) ابن خلدون (المقدمة) ص ٢١٨ .

(٦) E- Gibbon, The Decline and Fall the Rompan Empire London 1911 Vol 5. p. 338.

(٧) جرجي زيدان (تاريخ التمدن الاسلامي) ج ١ ص ٩٨ ، دار الهلال - القاهرة .

اما امير علي فيحلل هذا الاجراء بقوله ان الدولة الاسلامية التي مضى عليها اكثر من نصف قرن ايام الفتح لا يمكنها ان تظل معتمدة في اقتصادياتها على النقد الاجنبي كما ان العملة الفارسية كانت مغشوشة (١) .

ويورد الدورى سبباً مشابهاً حين يقول ان تعريب النقود زمن عبد الملك بن مروان خطوة مهمة في تأكيد كيان الدولة المالي وفي تدعيم اقتصادياتها ، وأن له صلة بالازمة المالية : ازمة الخزينة ، والتي واجهتها الدولة زمن عبد الملك وربما كان للثورات والحروب مثل ثورة ابن الزبير في الحجاز والمختار في العراق ودورها في الازمة التي ادت إلى تقلص موارد الخزينة من الجباية (٢) .

والحقيقة ان عملية التعريب زمن عبد الملك وتعريب النقود بشكل خاص تدخل ضمن حركة قومية بدأ اولى خطواتها الخليفة عمر بن الخطاب كما اشرت سابقا وتبعه الخلفاء الامويون بخطى حثيثة منذ زمن معاوية واستكملت مراحلها النهائية زمن عبد الملك ، فلقد كان امراً طبيعياً ان يتفق التعريب لدى الامويين وعبد الملك بالذات مع الوضع الجديد الذي رغبه الخليفة للدولة العربية الاسلامية وهو طبعها بالطابع القومي العربي بعد فترة من الانتقال دامت اكثر من سبعين عاماً ، وبهذا فهي لا يمكن ان تكون ردة فعل عفوية لسماع الخليفة تهديد الروم يشتم الرسول على السكة ، اذ ان عبارات التوحيد والرسالة المحددية قد ظهرت على السكة الاسلامية البيزنطية قبل عهد عبد الملك ومنذر زمن الخليفة عمر ولا بد انها وصلت إلى ايدي البيزنطيين وعلمهم ، فلقد كان لرعايا الدولة البيزنطية معاملات كثيرة مع الدولة العربية يتبادل الطرفان خلالها النقود

(١) امير علي مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ص ١٦٤ ترجمة رياض رأفت مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ ، القاهرة .

انظر الدكتور توفيق اليوزبكي / التعريب في المصيرين الاموي والعباسي / اداب الرفادين ، العدد السابع ، ص ٥١ - وما بعدها .

(٢) عبد الرحمن فهمي (النقود العربية ماضيها وحاضرها) ص ٣٧ المكتبة ثقافية ١٩٦٤ القاهرة .

المضروبة على الطراز البيزنطي والنقود البيزنطية على السواء (١) فتعريب النقود اذن سياسة مدروسة آن وقت تنفيذها وهي كما قلت طبع الادارة بطابع عربي قومي فبدأ بتعريب الدواوين وانتهى بتعريب سكة خالصة بطرازها والتي اصبحت ضرورة من ضرورات الحكم في مرحلة استترة الدولة التي اعقبت حروب التحرير منذ عهد الخليفة .

ولقد بدأ الخليفة تعريب السكة على مراحل فمنذ مجيئه الى الخلافة سنة ٦٥ هـ كانت السكة في الشام تضرب بصورة امبراطور بيزنطية مع بعض الكتابات العربية، ويبدو ان الامبراطور البيزنطي لم يكن ليطمع من جيرانه اللداء اكثر من الابقاء على بعض المظاهر البيزنطية على سكتهم، ولقد سار عبد الملك في هذا الطريق اول الامر، فضرب دنانيره الذهبية على طراز السكة النحاسية (الفلوس) البيزنطية لهرقل وولديه قسطنطين وهيراكليوناس مما كان يضرب في الاسكندرية (٢) وعليها الحرفان (IB) ولكنه بدل وضعهما وجعل كلا منهما بدل الاخر وبشكل (BI) كما غير اشكال الصليبان فجعلها في هيئة حرف (T) ثم حورها بعد ذلك بشكل كرات احاطها بعبارات التوحيد وبالخط الكوفي، ولم يعترض البيزنطيون اراء ذلك حيث كان هذا الطراز «أثوفا» لديهم قبل عهد عبد الملك.

وخطا عبد الملك خطوة ثانية فاستبدل صورة هرقل وولديه بصورته مع ابقائه بعض التأثيرات المسيحية كالعمود القائم على المدرج، فأصبحت صورة

(١) اما متى بدأ هذا الاصلاح فيشير المقرئ الى انه « لما استوثق الامر لعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبدا لله ومصعب ابن الزبير فحص عن النقود والاوزان والمكايل وضرب الدنانير والدرهم في سنة ست وسبعين من الهجرة » .

المقرئ الكرملي - ص ٢٩ .

ويذكر عبد الرحمن فهسي الى وجود سكة لعبد الملك بن مروان تحمل صورته مؤرخة سنة ٨٧ هـ . عبد الرحمن فهسي (فجر السكة) ص ٤٨ .

(٢) ناصر انتقشتني / الدينار الاسلامي في المتحف البراق / ص ٢٣ بغداد ١٩٥٣ ويظهر أن الحرفين IB وردا على السكة البيزنطية للدلالة على القيمة وهي ١٢ نيفيا .

انظر لوحة رقم (٥) .

انظر لوحة رقم (٦) .



لوحة رقم (٥)
فلس عربي بيزنطي



لوحة رقم (٦)

فلس معطي بالفضة صادر قبيل تعريب النقد عليه اسم وصورة عبد الملك بن مروان

الخليفة على وجه الدينار تحيط بها البسمة وشهادتها التوحيد والرسالة
المحمدية وعلى ظهر الدينار كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة
نصها :

(بسم الله ضرب هذا الدينر سنة) كما أصبح الصليب مجرد عمود وقائم
على اربع مدرجات «في اعلاه كرة، ويبدو ان هذا التحوير كان المرحلة
الاخيرة من تساهل العرب في تقليد السكة البيزنطية (١).

ومما يلفت النظر في هذه الدنانير الاسلامية التي سكّت على الطراز البيزنطي
هو جرأة عبد الملك في نقش صورته على احد وجهي الدينار مما أثار اعتراض
بعض الصحابة عليه الذين وصلت الى ايديهم نماذج منها «فلم ينكروا منها
سوى نقشها فان فيها صورة» (٢) .

لقد استغرقت هذه الثورة الاصلاحية اربع سنوات منذ سنة ٥٧٣ وحتى
سنة ٥٧٧ حيث احتلت الكتابات العربية في هذه السنة وجهي الدينار العربي
كما اختلفت الدنانير المصورة واصبح هامش الوجه ينص على (محمد رسول الله
ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وفي المركز شهادة التوحيد
التي نصها (لا اله الا الله وحده لا شريك له) وعلى ظهر الدينار وفي الهامش
او في المركز ثلاثة سطور متوازية من سورة الاخلاص (الله احد الله الصمد
لم يلد ولم يولد (٣) .

وبهذا استطاع عبد الملك بالطراز الحديد من السكة ان يتم تعريب النقود
ويجعلها طرازاً عربياً اسلامياً صرفاً.

ويبدو، ان ثمة اختلافات كانت في ضرب الدنانير الاموية في الاقاليم
الشرقية عنها في الاقاليم الغربية من حيث ترتيب اسطر الكتابة او تكملة بعض

(١) عبد الرحمن فهمي (فجر السكة) ص ٤٣ - ٤٤

(٢) منزي - كرملي ، ص ٣٤ .

(٣) عبد الرحمن فهمي (النقود العربية ماضيها وحاضرها) ص ٣٤ .

النصوص القرآنية (١) ، فقد كتب الدينار في الاقاليم الشرقية على الشكل التالي :

وجه

مركز لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

هامش : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين

كله

ظهر

مركز الله احد الله

الصمد لم يلد

ولم يولد

هامش : بسم الله ضرب هذا الدينر

وكتبت الدينار في الاقاليم الغربية من العالم الاسلامي في شمال أفريقيا

والاندلس على الشكل التالي :

وجه

مركز لا اله الا

لا الله

وحده

هامش : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق

ظهر

مركز بسم الله

الرحمن

الرحيم

J. Walker : Catalogue of the Arab - Byzantine and Post (١)

Refrom Umayyad Coins (london 1956) PP.99.

نظر لوحة رقم (٧)



لوحة رقم (٧)

دينار ذهبي على الطراز العربي الاسلامي اصدار عبدالملك بن مروان عام ١٧٩ هـ

هامش (بدون بسملة) ضرب هذا الدينار (١)

أما الدراهم الإسلامية فيبدو أن تعريبها كاملاً لم يتم حتى سنة ٨٧٩ هـ وهي تحمل مكان الضرب كما تحمل نصوص الدنانير التي ضربت في الأقاليم الشرقية وجهاً وظهراً مع استغلال مساحة الدرهم الكبيرة فأكملت النصوص القرآنية من سورة الاخلاص إلى (احد) على مركز الوجه وأكملت عبارة الهامش إلى (ولو كره المشركون) وفي هامش الظهر حمل مكان الضرب .

أما الفلوس فقد تنوعت طرزها حسب الأقاليم فحملت شهادة التوحيد والرسالة المحمدية وأقدم الفلوس التي بين أيدينا يرجع تاريخها إلى سنة ٨٩٠ هـ (٢). ومما يجدر ذكره أنه برغم تعريب السكة الفضية سنة ٨٧٩ هـ إلا أن الحجاج ابن يوسف ظل يضرب باسمه دراهم منذ سنة ٨٠ هـ إلى ٨٣ هـ على الطراز الساساني (٣).

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن تعريب النقود زمن عبد الملك بن مروان كان خطوة اقتصادية ثورية في سبيل الإصلاح المالي، فاستقرت السكة وثبت وزنها وعيارها وغدا التلاعب بها أمراً خطيراً يحاسب عليه فاعله، كما أدى ثبات أبعادها وسيولتها إلى سهولة التبادل التجاري بها في الأقاليم الإسلامية، بعد أن منحها التجار والصيارفة ثقتهم.

كما كان تعريب النقود ثورة على نظم السكة القديمة المتداولة وجزء من مبدأ التعريب الذي حققه الخليفة في جميع الميادين الإدارية .

(١) انظر عبد الرحمن فهمي (فجر السكة العربية) ص ٥٠ .
وانظر محمد باقر الحسيني / العملة الإسلامية في العهد الأتابكي ص ١٨ مطبعة الجاحظ ١٩٦٦ م .

(٢) Wolker op. cit PP. IXVII 289

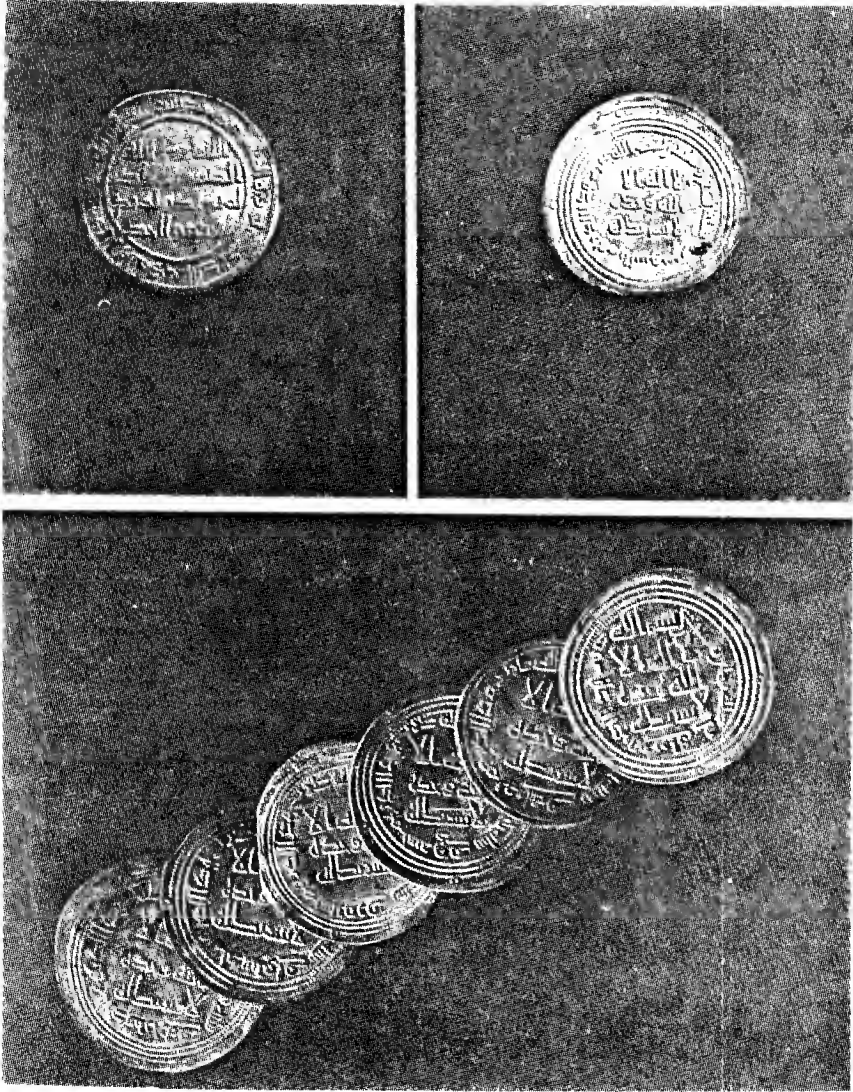
(٣) د. عبد الرحمن فهمي (فجر السكة) / ص ٥١ .

انظر لوحة رقم (٨)

انظر لوحة رقم (٩)

انظر لوحة رقم (١٠)

انظر لوحة رقم (١١)



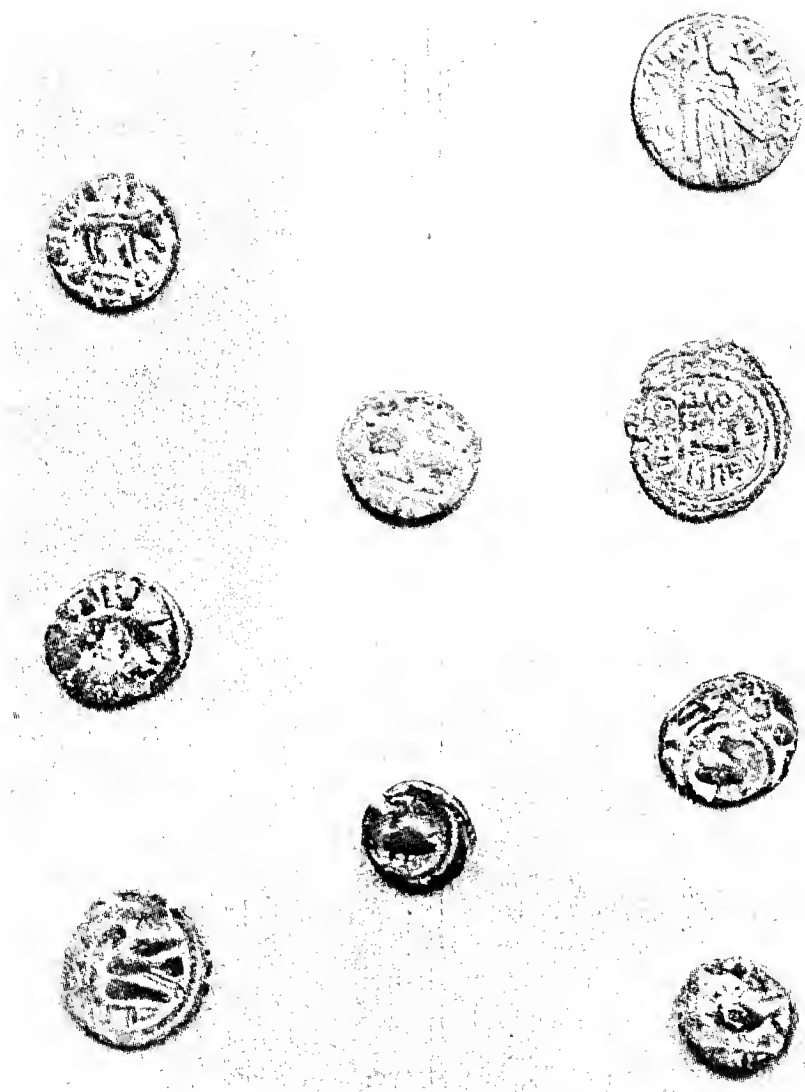
لوحة رقم (٨)

أ - نموذج للدرهم المعرب الاول ضرب عام ٧٩ هـ

ب - نماذج لدراهم أموية مختلفة



لوحة رقم (٩)
اذج مختلفة لفلوس اموية



لوحة رقم (١٠)



لوحة رقم (١١)
درهم عربي على الطراز الساساني ضرب الحجاج بن يوسف الثقفي

فقد شهد عصر عبد الملك بن مروان ظاهرة جديدة تتلخص في صبغ الإدارة بالصبغة القومية العربية فبدأ بتعريب الدواوين وانتهى بضرب سكة عربية خالصة بطرازها والتي أصبحت ضرورة من ضرورات الحكم في مرحلة استقرار الدولة التي أعقبت حروب التحرير منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض).

مراجع البحث

أ - المخطوطات

مصطفى الذهبي الشافعي ت ١٢٥٦ هـ

١ - تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال

مؤسسة الآثار العامة / بغداد

رقم الخطوطة (١٠٩٠)

ب - المراجع العربية

ابن الاثير : (عز الدين أبو الحسن علي الجوري) (ت ٦٣٠ هـ)

١ - الكامل في التاريخ

بولاق ١٢٩٠ هـ

وبيروت ١٩٦٥ م

ابن آدم : يحيى بن آدم

٢ - كتاب الخراج

تحقيق احمد محمد شاكر القاهرة ١٣٤٧ هـ

ابن تغري بردي : (ابو المحاسن جمال الدين يوسف) ت ٨٧٤ هـ

٣ - النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة (٣) أجزاء

طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩ م

ابن خلدون : (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون) ت ٨٠٨ هـ

٤ - مقدمة تاريخ ابن خلدون

طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ

ابن سعد : (محمد بن سعد كاتب الواقدي)

٥ - كتاب الطبقات الكبير ، طبع ليدن سنة ١٣٢٢ هـ

- ابن سلام : (أبو القاسم بن سلام) ت ٢٢٤ هـ
- ٦ - كتاب الاموال صححه وعلق على هوامشه محمد حامد
الفقي القاهرة ١٣٥٣ هـ
- ابن عبد الحكم : (أبو محمد عبدالله بن عبدالحكم) ت ٢١٤ هـ
- ٧ - فتوح مصر واخبارها
طبعة هنري ماسيه ، القاهرة ١٩١٤ م
- ابو يوسف : القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم ت ١٨٢ هـ
- ٨ - كتاب الخراج
المطبعة السلفية. القاهرة ١٣٥٢ هـ
- البلاذري : (أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩ هـ
- ٩ - كتاب فتوح البلدان
نشره ووضع . لاحقه وفهارسه د. صلاح الدين المنجد
مكتبة النهضة المصرية .
- أحمد تيمور :
- ١٠ - التصوير عند العرب
نشر وتعليق د. زكي محمد حسن ، القاهرة ١٩٤٢ م
- توفيق سلطان اليوزبكى (الدكتور)
- ١١ - التعريب في العصرين الاموي والعباسي
مجلة آداب الرافدين (تصدرها كلية الآداب ، جامعة
الموصل) العدد السابع ١٩٧٦ م.

جرجي زيدان

١٢ - تاريخ التمدن الاسلامي
دار الهلال - القاهرة

سيد أمير علي

١٣ - مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي
ترجمة رياض رأفت ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر القاهرة ١٩٣٨ م

صالح العلي (الدكتور)

١٤ - محاضرات في تاريخ العرب
الطبعة الثالثة . بغداد ١٩٦٤ م
١٥ - التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الاول الهجري
الطبعة الثانية دار الطليعة. بيروت ١٩٦٩ م

صبحي الصالح (الدكتور)

١٦ - النظم الاسلامية نشأتها وتطورها
الطبعة الثانية دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨ م
عبدالرحمن فهمي محمد (الدكتور)

١٧ - الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الاسلامية
(مستخرج من المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية
المنعقد في فاس سنة ١٩٥٩ م)

١٨ - النقود العربية ماضيها وحاضرها
المكتبة الثقافية العدد ١٠٣

طبع في المؤسسة العامة للتأليف والترجمة
القاهرة ١٥ شباط ١٩٦٤ م

١٩ - موسوعة النقود العربية وعلم النميات (فجر السكة
العربية) القاهرة ١٩٦٥ م

عبدالعزیز الدوری (الدكتور)

٢٠ - مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي

طبعة اولی دار الطلیعة بیروت ١٩٦٩ م

عبدالمنعم ماجد (الدكتور)

٢١ - التاريخ السياسي للدولة العربية

مکتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧١ م

علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي

٢٢ - اخبار عمر

دار الفكر دمشق ١٩٥٩ م

غوستاف لوبون

٢٣ - حضارة العرب

ترجمة عادل زعیر

مطبعة عیسی البابي الحلبي

محمد باقر الحسیني (الدكتور)

٢٤ - العملة الاسلامية في العهد الاتابكي

مطبعة دار الجاحظ ١٩٦٦ م

محمد حسین هیکل (الدكتور)

٢٥ - الفاروق عمر

الطبعة السادسة ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م

محمد الخصري

٢٦ - محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية (الدولة الاموية)

القاهرة ١٩٦٩ م

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥ هـ

٢٧ - النقود الاسلامية القديمة (نشره الاب انستاس الكرملي)

في كتابه (النقود العربية وعلم النميات) الجزء الخاص

بالنقود القاهرة ١٩٣٩ م

محمد كرد علي

٢٨ - خطط الشام

طبع في مطبعة الترقى بدمشق ١٩٢٦ م

ناصر النقشبندی

٢٩ - الدينار الاسلامي في المتحف العراقي

بغداد ١٩٥٣ م

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ)

٣٠ - تاريخ اليعقوبي بيروت ١٩٦٥ م

بوليوس ولهوزن

٣١ - تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة

الاموية راجعه حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٨

ج - المراجع الاجنبية

١ — Arnold (T.W.)

Painting in Islam

Oxford

2 — Gibbon, The Decline and fall the Roman Empire

London 1911

3 — Walker (john)

A Catalogue of the Arab- Byzantine and post

Reform Umayyad Coins London 1956